

**التحليل السيميائي للخطاب الروائي
ثلاثية الجزائر لهيب الملك مرتاض أنموذجاً
(الملحمة - الطوفان - الخلاص)**

الطالب الباحث: بن مصيطفى محمد الأستاذ الدكتور: زراي نورالدين

جامعة وهران 1- أحمد بن بلة - الجزائر جامعة وهران 1- أحمد بن بلة - الجزائر

يحاول هذا المقال أن يسلط الضوء على ماهية العلامة ومدلولاتها الإيحائية المقنعة في ثلاثية الجزائر (الملحمة-الطوفان-الخلاص) للأديب عبد الملك مرتاض-وقد تطرقنا فيه لسيميائية الشخصيات باعتبارها علامات وظائفية تدل على رموز خفية تظهر بين فقرات المتن السردى، وتعبّر عن اللاوعي الداخلى. كما تناولنا فيه سيميائية الفضاء الروائى كمكون دلالي امتزج برمزية المكان والزمان والشخصيات، بالإضافة إلى اللغة السردية ذات الأبعاد الرمزية الإيحائية وما تكتنزه من انزياحات لغوية أفاضت على السرد جمالية فنية ومقصديه مقنعة.

الكلمات المفتاحية: الثلاثية(الملحمة-الطوفان-الخلاص): العلامة؛ رمزية الشخصيات؛ دلالة الفضاء الروائى؛ اللغة السردية؛ الحوار.

The Semiotic Analysis of the Novelist Discourse- Algeria's Trilogy by Abdel Malik Murtada as a Model(Epic, Deluge, Salvation)

Abstract: This article attempts to shed light on the meaning of the sign and its suggestive connotations in the Algerian trilogy (epic-rescue-salvation) by the writer Abdel-Malik Mortadh - We discussed the characters' semiotics as functional signs of hidden symbols indicating hidden symbols that appear between the paragraphs of the narrative text, and express the inner subconscious. We also dealt with the semiotics of the novel space as a semantic component mixed with the tempo-spatial and personalities symbolism, in addition to the narrative language with suggestive symbolic dimensions and what linguistic shifts/displacements it stockpiles, overflowing an artistic aesthetics and masked intentionality on narration .

Keywords: Trilogy (Epic - Deluge - Salvation), mark, characters symbolism - narrative space significance, narrative language, dialogue

تاريخ إيداع البحث: 01 أكتوبر 2017.

تاريخ قبول البحث: 29 ماي 2018.

التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثة الجوائز لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة نصل (الخطاب) 1- توطئة:

إنّ الحديث عن العلامة هو حديث عن جانب كبير من نظرية المعرفة الإنسانية فقد ارتكزت هذه النظرية في فهم خبايا الوجود وتفسير الإشارة كعنوان أسامي للمعرفة، وقد سعت الفلسفة اليونانية إلى تفسير ظاهرة الرمز واعتبرت أن الوجود مرآة عاكسة لحالة اللاوجود وتوصلت إلى «التمييز بين دلالة الأسماء والطبيعة التداولية»⁽¹⁾، كما تجاوزت المفهوم الدلالي للألفاظ إلى الدلالات العامة المحتملة للعبارة، وأشارت إلى العناصر التي تحكم الخطاب عموماً، (خطيب، مخاطب، نص خطابي) أو (مرسل، موضوع، مرسل إليه). وهذا تكون الفلسفة اليونانية قد مهدت لإدراك عناصر الدرس السيميائي في التمييز بين دلالة الأشياء ومدلولاتها، وقد اهتم القديس أوغسطين (354-430 هـ) بالعلامة من خلال نظرية الإشارات وربط الدال بالمدلول، معتبراً أن الكلمات عبارة عن علامات تشير إلى مدلولات «إنّ السيميائيات الأوغسطينية ذات أبعاد تأويلية دلالية وذات منجز تربوي أيضاً»⁽²⁾.

2- نظام العلامة في الفكر الإنساني:

لم يقتصر الاهتمام بالعلامة على الفلسفة اليونانية فقد كان للعرب في تراثهم القديم إسهامات جليلة، في هذا المجال وتجلّى اهتمامهم بها من خلال الإحياءات العلاماتية للنصوص القرآنية باعتبارها نصوصاً تدعو إلى التأمل والبحث عن المقصدية النصية من خلال الإعجاز القرآني الوارد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل الآية: 16). ولم يقتصر إدراك المقاصد المقنعة على القرآن الكريم، بل امتد إلى علوم اللغة والبلاغة والمنطق لأن «من حق الأسماء أن يعلم معناها في الشاهد ثم يبني عليه في الغائب»⁽³⁾. فعملية إدراك المكنونات تتم بالتأويل والتأمل لأن «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر»⁽⁴⁾، فحالة الشيء دال على مدلول مقنع يوحي به الشيء الظاهر في الكلام. وهنا إشارة إلى علاقة الدال بالمدلول كعلاقة اعتباطية تربط الشيء بحالته.

إنّ عملية البحث في ماهية العلامة شغلت الفكر الغربي الأوربي والأمريكي، فقد ساهم هذا الأخير في بعث وتأصيل الدرس السيميائي. ويشهد على ذلك عمل الفيلسوف الأمريكي شارل سندرز بيرس (C.S.Peirce) الذي كان من بين الأوائل الذين اهتموا بالبحث في أصول العلامات ونظرية السيموطيقا والتي تعتبر «أول محاولة نسقية سعت إلى إنشاء السيموطيقا لنظرية العلامات»⁽⁵⁾ حيث بنى نظريته على أساس بعدين، الأول تداولي والثاني انطولوجي معرفي.

أما فرديناند دي سوسير f.Desaussure اهتم اهتماماً بالغاً بالعلامة اللغوية بوصفها أداة اتصال وصاحب نظرية السميولوجيا التي تربط العلامة اللغوية بالمجتمع، «ولقد حصر دي

سوسير هذا العلم في دراسة العلامات ذات البعد الاجتماعي ويعني هذا أن السميولوجيا تبحث في حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية»⁽⁶⁾.

وحاول فلاديمر بروب F.Prop الاهتمام بالعلامة من خلال النظرية الوظيفية، واعتبر أن المتن الخرافي «يتضمن قيمة ثابتة وقيمة متغيرة. إن ما يتبدل هو الأسماء (وفي نفس الوقت الصفات) والشخصيات، وما لا يتبدل هو أفعالهم أو وظائفهم Function ويمكن أن نستخلص بأن الخرافة تسند غالبا أفعالا متشابهة لشخصيات متباينة وذلك ما يتيح لنا أن ندرس الخرافات انطلاقا من وظائف الشخصيات»⁽⁷⁾.

واعتبر أليخاندرو جوليان غريماس (A. L. Greimas) أنّ وظيفة العلامة داخل البنية السردية عميقة الدلالة والإيحاء، فهي تشكل «جذعا بنائيا تقوم عليه السردية»⁽⁸⁾ يحيلنا إلى إدراك المستوى المحايث للبنية السردية في بناء صيغة تجريدية أطلق عليها المربع السيميائي القائم على علاقات متداخلة ومتباينة «وهو المربع الذي تداوله الباحثون في السيميائيات السردية، كما يتداولون سرا كبيرا شبيها بأسرار المتصوفة»⁽⁹⁾.

واشترط -رولان بارت -RBarths، في العلامة نظاما سمّاه بنظام التشفير لتفكيك وحدات النص مشترطا في الوحدة «أن تتوفر على تعددية القراءة، أي تعددية المعنى»⁽¹⁰⁾.

اهتم فيليب هامون F.Hamoune بالعلامة من خلال الشخصية الروائية معتبرا إياها وعاء سميولوجيا له دلالاته الإيحائية «إنها علامة فارغة، أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد»⁽¹¹⁾.

وفي نفس السياق يرى يوري لوتمان Leutmans Yauri أن العلامة ذات تسنين ثقافي بين المجتمعات، تقوم على «الانفتاح والتعاضد والتواصل والتكامل والتعددية والتعجين والتنوع والتسامح والتعاون والمثاقفة وتداخل النصوص (التناص) وتعدد اللغات والثقافات»⁽¹²⁾.

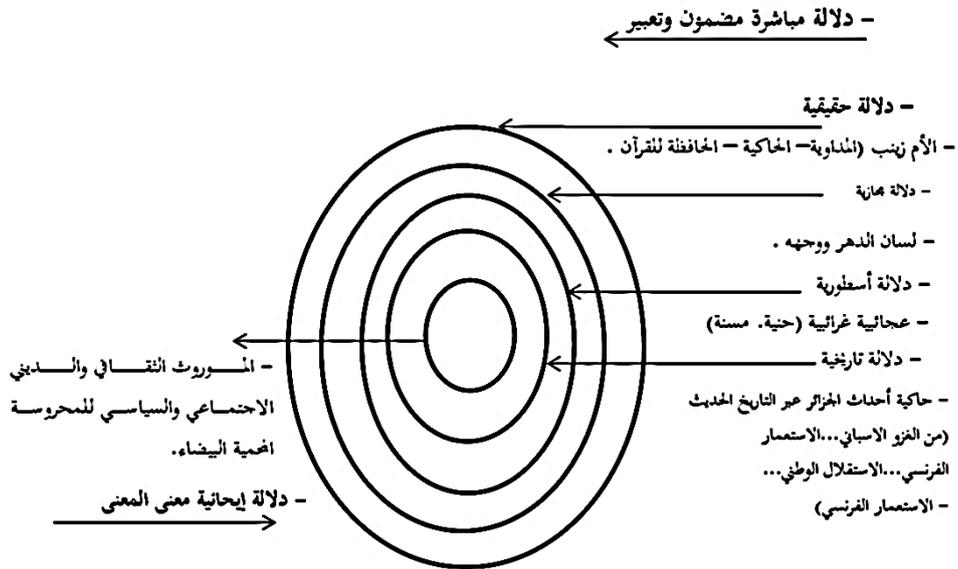
3- سيميائية الشخصيات في ثلاثية الجزائر:

3-1- شخصية الأم زينب:

تعتبر الشخصية داخل المتن السردى مركز تفاعل الأحداث، «إنها تمثل العنصر الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط والتي تتكامل في مجرى الحكى»⁽¹³⁾. فإذا كانت الشخصية تضطلع بالأفعال المرتبطة بالمتن الحكائي، فإن ثلاثية الجزائر لعبد الملك مرتاض (الملحمة، الطوفان، الخلاص) ضمنها شخصيات متنوعة السمات والأوصاف والوظائف، منها شخصية الأم زينب حاكبة أخبار المحروسة المحمية البيضاء، «كانت الأم زينب أماراً بارزة من أمارات المدينة الفاضلة، فكانت وحيدة نسجها، فريدة حُكاتها، ممّا يعرفون، وكانت إلى كلّ ذلك متضلعة من أخبار التاريخ وعلم العربية والأيام والأنساب والأمثال...فكانت في ذلك بحرا زاخرا

التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثية الجزائر لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة فصل الخطاب
 ليس له ساحل؟ وقُل أن عرف الناس لها مثيلاً فيما عرفوا من أولى العلم والعقل والأخبار، في
 المدينة الفاضلة على الأقل، بل منهم من كان يصنفها الشخصية الأولى في بلاد المحروسة
 المحمية البيضاء كلها⁽¹⁴⁾. ومما جاء في الثلاثية قول المؤلف «كانت الأم زينب حين تحكي تصبح
 كلسان الدهر القديم... وتحكي الأخبار المثيرة، ولاسيما ما كان له صلة بتاريخ... المحروسة المحمية
 البيضاء التي كثيراً ما كانت تشيع في حكاياتها المدهشة أن المدينة الفاضلة هي في أصلها قطعة
 من الأرض منقولة من جبل قاف على أجنحة من أوتوا علما من الكتاب من عتاة الجان
 وجبابرة العفاريت»⁽¹⁵⁾.

بناء على ما سبق فإن القراءة تحيلنا إلى إدراك الدلالات الإيحائية الوظائفية لشخصية
 الأم زينب، حيث يمكن إدراك تلك الدلالات من خلال المخطط الآتي:



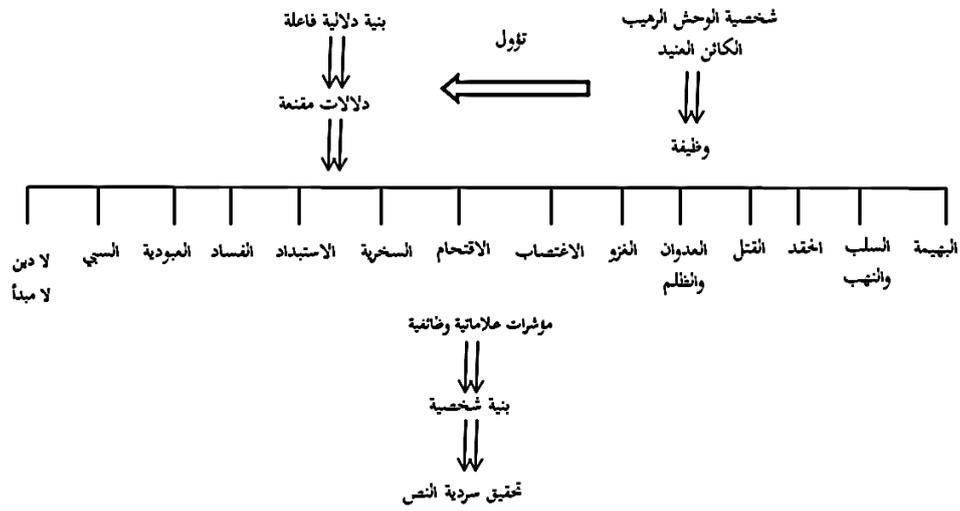
2-3- شخصية الوحش الرهيب (الاستعمار):

أما الشخصية التي رمزت إلى كل أشكال الغزو المتلاحق على أرض الجزائر فهي شخصية
 الاستعمار. وباعتبار أن الشخصية تمثل مكوناً مورفولوجياً ووظائفياً فهي "تنتصب كإسقاط
 لصورة سلوكية مُنشئة داخل نوع ثقافي خاص"⁽¹⁶⁾. تشكلت في مخيلة المؤلف بمسعى الوحش
 الرهيب، والكائن الغريب، العنيد، في ثلاثية الجزائر - للروائي عبد الملك مرتاض - بأبعاد
 ودلالات ووظائفية مقنعة أبان عنها المؤلف بقوله: «كان الوحش الرهيب يقيم بغابة متوحشة
 بعيدة من وراء بحر الظلمات من غربي المدينة الفاضلة، وكان يستهويه أن يُغير على المدينة
 الفاضلة كلما احتاج إلى أن يملأ جيوبه من أموالها ويطننه من أرزاقها فكان يَمْتَارُ لأهله منها، لم
 يكن الحقد الذي يحمله للمدينة الفاضلة يطفئ ناره إلا قتل أهلها عدوا وظلماً (...). غازيا

بن مصطفى محمد وزراحي نورالدين - (الجلد الساسون) / (العدد 22) / جوان 2018

مغتصبا قاتلا مفترسا. كان الوحش بحكم بهيميته، لا يفهم أي لغة بشرية إلا لغة القتل، ولذلك كان يعتمد إلى إطلاق النار من بوارجه من عرض البحر قبل أن يقتحم المدينة على أهلها الأبرياء فهدم عليهم ديارهم تهديما، لغته كانت النيران، سيرته كانت الظلم واقتراف الأذى. (...) لم يكن يتدين بدين. لم يكن يؤمن بمبدأ⁽¹⁷⁾.

وفي سياق استنكاه الإيحاءات الدلالية للمسار التوليدي للسرد وكشف البنية المقنعة لشخصية الاستعمار الموسومة بالوحش الرهيب والكائن الغريب العنيد، فإن هذه الشخصية توجي بمؤشرات علامانية وظائفية تؤول إلى دلالات إيحائية، ويمكن تصور ذلك من خلال المخططة الآتية:



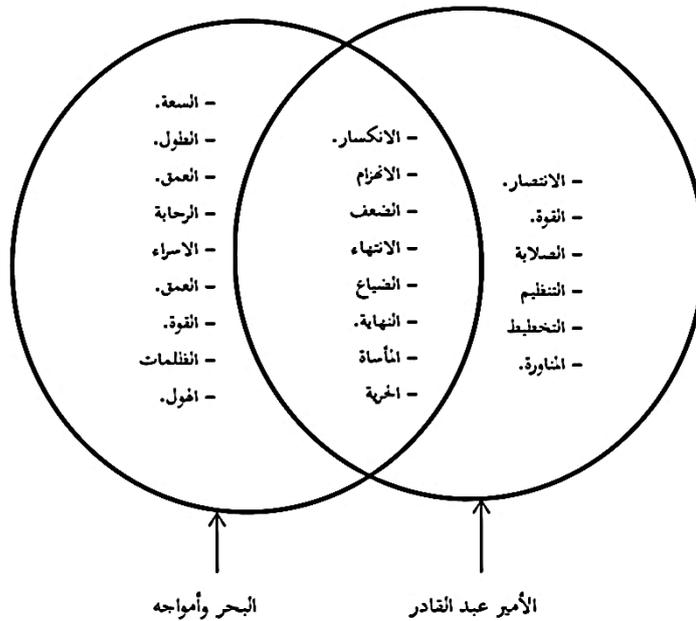
ومن الشخصيات التي تضمنتها الثلاثية شخصية الأمير عبد القادر، فقد ظهرت في المتن السردية بصورتين صورة حقيقية والأخرى رمزية. وهذا ما يراه فليب هامون في تحديد دلالة الشخصيات، لأن «محددات الشخصية عنده نمطين الأول ينظر إلى الشخصية من حيث وجودها بوصفها مكونا سرديا والآخر ينظر إليها بكونها علامة سيميائية»⁽¹⁸⁾.

وكما يرى سعيد يقطين «أنها تمثل العنصر الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط والتي تتكامل في مجرى الحكى»⁽¹⁹⁾ فعلى مستوى الحقيقة تظهر هذه شخصية على أنها شخصية ثورية مقاومة تجيد فنون القتال والحرب تتمتع بهيبة ومكانة مرموقة وسط أهالي مدينة أم العساكر (معسكر) أما على مستوى الرمز تظهر على أنها خيالية تحمل الكثير من تسيين الثقافة، وتعكس عبقرية الإنسان الجزائري في علاقاته ومحيطه واندماجه في مجتمعه.

ومن خلال الحكى على لسان - حاكبه أخبار المحروسة المحمية البيضاء- الأم زينب أظهر المؤلف لحظة من اللحظات الحاسمة في نضال ومقاومة الأمير عبد القادر ضد الاستعمار

التعليق السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثية الجزائر لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة فصل الخطاب الفرنسي، وهي لحظة الانكسار والانهزام، بعد مقاومة طويلة وشرسة «أصبح الأمير محاصراً من جهتين اثنتين لا من جهة واحدة، ولذلك اطلب الأمير إلى أصحابه أن يذروه وحده لينقطع إلى التأمل في قرية عجروود العجيب شاطئها، جلس على صخرة شاطئها التي تقع منها مكانا شرقياً...»⁽²⁰⁾ إنها اللحظة التي توقف فيها الزمن، حيث بدأ الحديث النفسي للأمير من خلال استحضار الماضي والحاضر والمستقبل وتغيرت ماهية الأشياء، وملاحم الحياة «ثم بدأ الأمير يتأمل البحر وأمواجه وهي تتلاطم، فتتكسر على قدميه تكسراً صاخباً، كأن ماء البحر كان يريد أن يُحَيِّ بلغته الخاصة، هذا البطل العظيم الذي انتهى أمره إلى ما انتهى إليه هنا، ويقرّ له بما قاوم الكائن الغريب العنيد بشجاعة فائقة أذهلت العدو إذهاً»⁽²¹⁾.

لقد نقل المؤلف هذه الشخصية من واقعها الحقيقي إلى واقعها الوظيفي المتصل بسميولوجية الوضع الذي آل إليه الأمير، وهو يرافق الأمواج المتلاطمة المتكسرة تحت قدميه، بقلب حزين وخاطر منكسر وكأن هذه الأمواج المتلاطمة تدفع بنفسها نحو الفناء حين بدأ الأمير يناجي نفسه «وها أنا ذا ها هُوَ! بعد العزّ والقوة والأمل العريض... طال الأبد على لَبْدِ! الأمل ضاقت شعابه وتغلقت في وجهي أبوابه. كذلك آل أمري إلى ما آل إليه! لا صرخ ولا مغيث! ولا ظهير ولا نصير! ما كنت أظن الدنيا تقطب في وجهي إلى هذا الحد الأقصى، لقد أوصدت الأفاق أمام طريقي الوعروما عدت أعرف وجهي إلى السبيل المثلى...»⁽²²⁾. إن لجوء الأمير إلى هذا المكان للاختلاء بنفسه له دلالاته الرمزية وهو يخاطب الأمواج وتخاطبه. ومن خلال تداعيات السرد يمكننا قراءة هذا اللقاء بين الأمير والأمواج ضمن المخططة الآتية:



3-2- شخصية مصطفى بن بولعيد:

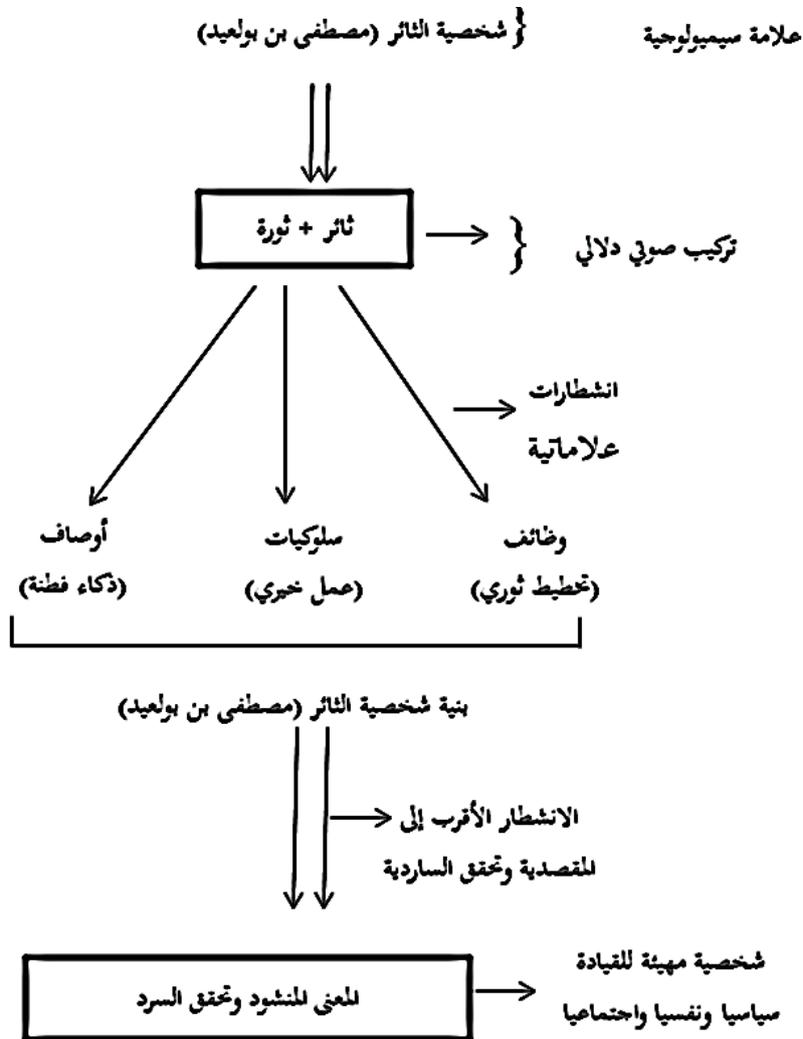
تناول المؤلف -عبد الملك مرتاض -شخصية مصطفى بن بولعيد في ثلاثية الجزائر في جزئها الموسوم- بالخلاص -تناولا سيميولوجيا حيث ختم هذا الجزء بمفخرة من مفاخر الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى والتي أنزلت الاستعمار من أبراجه العاجية إلى ساحات المواجهة والصدام العسكري والسياسي لتخليص أهالي -المحروسة المحمية البيضاء -تخليصاً أبدياً من كل أشكال العبودية.

لقد تضمن السرد على لسان -حاكيه أخبار المحروسة المحمية البيضاء - الأم زينب- أوصاف ووظائف هذه الشخصية الفاعلة في تحريك الأحداث، باعتبار أن الشخصية في الرواية تمثل «عنصراً محورياً في كل سرد بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات»⁽²³⁾. لذلك فإن المؤلف استهل حديثه عن هذه الشخصية بالأبعاد السيميولوجية التي ساهمت في صقل موهبتها وقوتها السيكولوجية والمورفولوجية إذ يقول: «كان مصطفى الثائر المولود بوادي الأبيض ذكياً شديداً صافي الذكاء صافي الذهن، ثوري التفكير، قد كلفته طبيعة المكان الذي ولد فيه، وشهامة الأهالي الذين ينتمي إليهم، بخلال كريمة جعلته ينظر منذ طفولته الأولى إلى الأمور على غير ما كان ينظر إليها كثيرون آخرون من لِدَاتِهِ...كان متناهي الفطنة دارساً ولاعباً، وكادحاً وعاملاً»⁽²⁴⁾.

لقد دفع المؤلف بمفهوم شخصية مصطفى بن بولعيد من وجود واقعي إلى وجود تخيلي بدلالات سيميولوجية. فإذا كانت الحياة الشخصية لا تتمثل في السرد عن طريق أفعالها وأقوالها وصفاتها فإن شخصية مصطفى بن بولعيد- حسب مدلولاتها لا تدرك إلا داخل المتن السردية، ومقيدة بالسنن الاجتماعية وهذا ما أشار إليه -فليب هامون -بالإشارة التي ترمز إليها الشخصية فهو يعرفها «أنها نسق من المعادلات المبرمجة في أفق ضمان مقروئية النص»⁽²⁵⁾ - فهو الثائر الذي يفكر منذ طفولته. فكان هذا الوصف «يحمل دلالات حول اتحاد المعادل الموضوعي بين هذا الاسم وبين موضوع الصراع الاجتماعي، بل الوجودي في هذا الوطن»⁽²⁶⁾.

وفي سياق القيم التي يؤمن بها الثائر - مصطفى بن بولعيد- بضرورة الخلاص النهائي من قيود الاستعمار فقد جمعته الأقدار في ديار الغربة بأحد أبناء المحروسة المحمية البيضاء وهو "بشير" الذي خاطبه قائلاً: «لقد كنت أظن أنني أجد هنا شيئاً من الراحة والنعمة وخفض العيش، فإذا أنا أقيم بقبر الأحياء! في هذا القبر الحقيق الذي حُرِمَ من كل هواء وضيء»⁽²⁷⁾. لقد استنكر على نفسه هذه الحياة المُشينة، مقابل ما يستحضر عن الحياة في بلده وبين أهله هناك حيث الحياة الكريمة، «كان الواحد منا في المحروسة الحبيبة، المحمية البيضاء، إذا

التعليق السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثية الجزائر لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة فصل الخطاب
استيقظ صباحاً وخرج من كوخه في البادية المقفرة نظر على مدى البصر إلى حيث لا يرى منزلاً
ولا بناءً! الحيز في المحروسة الحبيبة شاسع، وطلق كمدى الريح»⁽²⁸⁾.
إن هذا الاستحضار النفسي المؤلم جعله يستوعب الأسباب التي أدت احتلال وطنه
الجميل «الآن فهمت لماذا احتل الكيان الغريب الدار ذلك الفضاء النقي... المترامي الأرجاء?... بعد
أن فرغت جيوبه من المال... فالتمس سعة الفضاء... فالرجل الغربي يمكن أن يتقبل ألف
صفعة وصفعة، من ألف مروحة ومروحة إذا حوِّظ على جيبه ممتلئاً». ⁽²⁹⁾ إذا سلمنا برأيي-
بورس ولوتمان- على أن الشخصية الروائية هي علامة سميولوجية فإنه يمكننا قراءة مدلولات
هذه الشخصية من خلال المخططة الآتية:



4- سيميائية الفضاء الروائي في ثلاثية الجزائر:

إن مصطلح الفضاء لا يمكن فصله عن الوجود الإنساني، إذ أن هذا الوجود يتحقق في ظل فضاء معين، وأمام هذا الجدل بين الإنسان والفضاء يقوم الروائي بإنجاز عمله، ويتجسد الفضاء كوعي منه بالمكان الذي تتشكل فيه أحداث الرواية وتتم فيه عملية التفاعل بين الإنسان والمكان «يتفاعل مع الزمن، فإن المرء بقدر ما ينظم الفضاء، ينظمه الفضاء، اختراق متبادل، تفاعل يدخله المرء عبر سيرورة تجربته، اضطراب يشكل تصورات وخبراته وتشيده معرفته»⁽³⁰⁾.

إن الرأي القائل بحتمية الفضاء كمكون دلالي يجعل الفضاء التخيلي يمتد في الثلاثية ويقترب دلالياً بشخصية الأم زينب- حاكية «أخبار المحروسة المحمية البيضاء»⁽³¹⁾ على مسار الحكى السردى ويأخذ مفهومه من الأوصاف التي أصبغها الروائي على هذه الشخصية العجائبية. فالفضاء التخيلي يتفاعل مع ملامح هذه الشخصية في الزمان والمكان ليأخذ مدلوله الدلالي، كونه فضاء مركزياً تتفرع منه الفضاءات الفرعية كمسار للسرد الروائي، وهذا ما يظهر في أول لقاء لهذه الشخصية مع شباب الجزائر الذين ألفوا التجمع عند شجرة الدرارة «اعتاد فتیان أم العساكر الخضراء يسمرون تحت شجرة الدرارة طوال ليالي فصل الصيف يتناشدون الأشعار الشعبية ويتحاكون الحكايات الخرافية»⁽³²⁾، فهو لقاء ضمن فضاء تخيلي أخذ أبعاده الرمزية من خلال ملامح هذه الشخصية. «وبينما هم كذلك في إحدى الليالي المظلمة، وقد انطفأ القنديل التقليدي... وبينما هم يحدثون أنفسهم بالانفضاض من مجلسهم مخافة أن يهتن عليهم المطر، وإذا حفيف خفيف غريب...، فيصابون من ذلك بدعر شديد وإذا امرأة تبدو من خلال وميض البرق بين فينة وأخرى، مسنة، أنيقة المظهر، نقية اللباس تقتحم عليهم الحلقة»⁽³³⁾.

إن المظهر الإيحائي للفضاء الروائي تجاوز المكان والجغرافية والحدود الهندسية وارتبط دلالياً وسيميولوجياً بمدينة «أم العساكر الخضراء»⁽³⁴⁾ وشجرة الدرارة المباركة كرمز للعطاء والثبات والمقاومة ليبدل على رحابة الزمان والمكان، فأخذ مدلولاته السيميولوجية ضمن العلامات الإيحائية المقنعة التي رسمها المؤلف لشخصية الأم زينب والمعبر عنها، بالقنديل المضيء... وهبوب النسيم... ونزول المطر... وظهور المرأة المسنة... وهو الفضاء الذي اقتبس معانيه الدرامية من أوصاف ووظائف هذه الشخصية المحورية ضمن المتن السردى.

5- سيميائية اللغة السردية في الثلاثية:

تعتبر اللغة أداة للتواصل والتعبير عما يشعر به الإنسان اتجاه الأشياء واتجاه نفسه، وهنا يشير هانز جورج غادامير (H.G.Gadameur) إلى أهمية اللغة في حياة الإنسان الفكرية والتواصلية، «إننا نحيا داخل اللغة واللغة ليست مجرد نسق من العلامات تعبر عنها بواسطة

التعليق السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثة الجوائز لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة نصل (الخطاب ملامسة الآلة في الكتب أو إرسالها عبر أمواج عطر الإذاعة، بل وجود اللغة متعلق بالفعل الذي يتخذه الإنسان مدخلا للتواصل مع العالم، وهذا الفعل ليس سوى التلفظ»⁽³⁵⁾.

إنّ عملية النحت داخل اللغة- تتشكل وتأخذ صورها في التلفظ واللفظ وتتجلى من خلال البحث في العلامات والإشارات والرموز، لكون أن العلامة معطى نفسي واجتماعي وثقافي وحضاري، أصله الوضع والعرف والإصطلاح⁽³⁶⁾.

وأول ما يلفت الانتباه في العمل الروائي العنوان، بمستوياته المختلفة إذ يعرفه مؤسس علم العنونة- ليوهوك --Leohoek الذي يحدد العنوان بوصفه «مجموع العلامات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعيينه ومن أجل أن تشير إلى المحتوى العام، وأيضاً من أجل جذب القارئ»⁽³⁷⁾، وبناء على ذلك فالعنوان يمثل علامة لسانية، ولم يعد بمعزل عن محتوى النص أو الرواية لذلك فهو «كالاسم للشيء به يعرف ويفضله يُداول ويؤسس سياقاً دلالياً يبرئ المتلقي لاستقبال العمل»⁽³⁸⁾.

فيذا نظرنا إلى عنوان-الثلاثية- في جزئها الأول الموسوم- بالملحمة - نجد كيف استطاع هذا العنوان بدلالة رمزية، تعبر عن الولاء للتاريخ والحضارة والمصير، فقد عقد المؤلف من خلال العنوان الرئيسي مقابلة بين عالمين متناقضين، عالم المدينة الفاضلة -والمحروسة المحمية البيضاء، وعالم الجزيرة الغربية العامرة بوحشها الرهيب.

فالملحمة صراع بين الحق والباطل، والغزو والمقاومة، والشرق والغرب، فقد دل العنوان على خبايا الصراع بين أهالي المدينة الفاضلة وأوباش وخلعاء الجزيرة العربية العامرة، وذلك من خلال الدلالات المقنعة «تلكم هي الملحمة الكبرى التي خاضها أجدادكم الأكرمون مع الوحش الرهيب حين امتدت عيناه إلى أم المدائن المحمية البيضاء ليحتلها بالإضافة إلى المدينة الفاضلة فيتم له الحسنيات معا، لكن ظنه قد خاب ولم يفلح فيما سعى»⁽³⁹⁾.

أما الجزء الثاني الموسوم بالطوفان كرمز للهلاك له دلالاته الإيحائية المقنعة والتي جاء ذكرها في المتن السردي) «لقد أمست المحروسة المحمية البيضاء من أقصاها إلى أقصاها، مضرجة بدماء الشهداء...أغرق فيه أبواؤكم الأكرمون إلى أذقانهم لقد تغير لون المحروسة المحمية البيضاء فتارة إلى لون السواد...وتارة إلى لون الإحمرار للدماء التي كانت تهراق في المجازر التي كان يتعرض لها أبائكم الأكرمون وأمهاكم الكرائم اعتداءً»⁽⁴⁰⁾.

وفي الجزء الثالث الموسوم (بالخلاص) كعنوان للمقاومة والثبات والانتصار ونهاية الألم والأحزان يأخذ مدلوله من معنى الخلاص الديني من الخطيئة التي لازمت الإنسان منذ وجوده...واختيار المؤلف هذا العنوان كعتبة علامتية ليستدل بها على الانعتاق والخلاص من برائين الاستعمار البغيض «إن شئتم: أمُّ الثورات العظيمة- حكاية أخرى...وعلى أتى لم أحكيها

بن مصطفى محمد وزراحي نورالدين. (الجلد الساوس) / العدد 22 / جوان 2018

لكم أنتم يا أولادي، فاعذرون، ولا تلومون! ربما ستقرءونها مكتوبة يوما ما، فقد اخترت فتيانا آخرين، من بني جلدتكم في رجا آخر من أرجاء المحروسة المحمية البيضاء... هناك سأحكي لهم حكاية الخلاص...»⁽⁴¹⁾.

6- مستويات اللغة في الثلاثية:

تتجلى أهمية اللغة، في الإبداع الأدبي، كعنصر من عناصر تشييد النص وبناءه ووجوده، «إنها المادة المشكلة للموضوع، وفكرة الرواية وبدونها (اللغة) لا يكون هناك مخاطب ولا متكلم، ولا مناجاة ولا حوار ولا استقدام ولا استئثار»⁽⁴²⁾.

وبناء على ما سبق ومن خلال قراءتنا لثلاثية الجزائر- لعبد الملك مرتاض - (الملحمة الطوفان، الخلاص) يطرح أمامنا الإشكال الآتي:

ما هي مستويات اللغة التي وظفها الروائي في الثلاثية؟ وما هي دلالاتها الانزياحية وإيحاءاتها المقنعة؟.

إن اختيار اللغة يعتبر من أصعب الاختيارات المعتمدة في النص السردي فهي المفتاح الأول للولوج إلى عالم النص والإقبال على عتباته. فاللغة الشعرية انزاح بها المؤلف للتعبير عن الدلالات المقنعة وعن الموقف الدرامي والمتمثل في أحداث الثامن من شهر ماي سنة 1945 وما حل بالشعب الجزائري من مآسي وأحزان حيث جاء على لسان -حكاية الدهر - الأم زينب:-

النار، النار، النار	السلب، السلب، السلب
الدم، الدم، الدم	النهب، النهب، النهب
البكاء، البكاء، البكاء	التهجير، التهجير، التهجير
العويل، العويل، العويل	التعذيب، التعذيب، التعذيب
الويل، الويل، الويل	التنكيل، التنكيل، التنكيل
الهول، الهول، الهول	التجوع، التجوع، التجوع
الظلم، الظلم، الظلم	التجهيل، التجهيل، التجهيل
الهوان، الهوان، الهوان	التحريق، التحريق، التحريق ⁽⁴³⁾

أما لغة الحكاية فقد اعتمدها المؤلف للإخبار عن الأحداث الملازمة للمقاومة الشعبية عبر التاريخ منذ الغزو الإسباني إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، فقد لازمت لغة الحكاية مسار السرد معبرة عن المحن المتلاحقة التي ألمت بشعب المحروسة المحمية البيضاء، مستعملا اللغة كرداء للنص الروائي وبأسلوب متأنق جميل غايته في ذلك إمطة الستار عن حقيقة الوحش الرهيب الذي أنزل محنته على سكانها: «إنها محنة رهيبية ابتلت بها المدينة الفاضلة فوقت فريسة سهلة يفعل بها كيف يشاء، فأذاقها لباس الجوع والخوف والاضطهاد والظلم والإذلال والاعتصاب وكل ألوان العذاب الأخرى»⁽⁴⁴⁾.

التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثة الجوائز لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة نصل (الخطاب)
لقد شددت اللغة أواصر النص وجعلت منه مشهداً تصويرياً علاماتياً يعتبر من خلاله
المؤلف عن قساوة المحنة وصلابة الموقف، فقد تكررت هذه المشاهد مع لسان حاكية أخبار
المحروسة المحمية البيضاء بهدف توصيل الإيحاءات المقنعة والغائبة عن التاريخ والمغيبية
إيديولوجياً، لشد القارئ نحو القصيدة النصية ولأن «المقطع المكرر لا يظهر أبداً بنفس
المعنى».⁽⁴⁵⁾

وإذا عدنا إلى لغة الحوار التي يتكئ عليها الروائي لاستدعاء عالم الشخصيات، وإظهار
مواقفها وبعدها النفسي والإيديولوجي، كون الحوار «حديث يجري بين شخصين أو أكثر في
العمل القصصي أو بين الممثلين على خشبة المسرح»⁽⁴⁶⁾.
ومن خلال ما سبق يمكن استنكاها ماهية لغة الحوار في الثلاثية وإظهار علاماتها وإشاراتها
ومدلولاتها الظاهرية والباطنية.

فالصورة الظاهرية تجسدت في حوار شباب شجرة الأرز الفرعاء أو الدهماء بضواحي
مدينة الأبطال السمراء (باتنة) فيما بينهم بعدما نالت المحروسة المحمية البيضاء استقلالها،
حيث يجتمعون ويتقاسمون أطراف الحديث عن الماضي والحاضر والمستقبل «ها هم أولاد فتية
مدينة الأبطال السمراء، الليلة يَنْتَدُونَ تحت الشجرة العظيمة الدهماء... بعد أن زالت الأسباب
المانعة من ذلك عهداً طويلاً مظلماً».⁽⁴⁷⁾

أما الحوار الداخلي (المونولوج) فقد اعتمده المؤلف في الثلاثية للكشف عن طبائع
الشخصيات، فهو «يخرج المونولوج المروي عادة من منطقة وسطى تجمع بين الوعي، واللاوعي في
أبسط معانيه يعني الجزء الخفي من الشخصية وهو يحوي مخزون الشخصية عن ذكريات
دقيقة».⁽⁴⁸⁾ وقد تجسد المونولوج في الثلاثية في اللحظة التي «طلب الأمير إلى أصحابه أن يذروه
وحده لينقطع للتأمل والتفكير في قرية عجروود العجيب شاطئها، جلس على صخرة شاطئها التي
تقع منها مكاناً شرقياً...»⁽⁴⁹⁾، وبعدها انقطع الأمير للتأمل والتكفير بدأ يناجي نفسه بضمير المتكلم
مواجه البحر وأمواجه العاتية المنكسرة على شاطئ قرية عجروود «وها أنا ذا ها هُوَه! بعد العز
والقوة والأمل العريض... طال الأبد على لبد ضاقت شعابه، تغلقت في وجهي أبوابه»⁽⁵⁰⁾ فقد
وجد في أمواج البحر عنصراً مماثلاً لحالته النفسية المنكسرة مجيبة إياه «أيها الأمير الشجاع! إن
نهاية الأبطال كثيراً ما يكون مصيرها محزناً»⁽⁵¹⁾ فهنا يُظهر المونولوج عبقرية الأمير في إدراك
حقيقة المخلوقات في التعبير عن كينونتها وسبب وجودها وخلقها، فهي كبقية المخلوقات
الأخرى، لم تخلق عبثاً بل خلقت قصداً لتُسَبِّح بحمد ربها معبرةً عن ذلك بتلك الأمواج
المتلاطمة.

بن مصطفى محمد وزراحي نورالدين _____ (الجلد الساسون) / العدد 22 / جوان 2018

إن لحظة الانكسار والهزيمة أدت بالأمير إلى استحضار أفكاره و ميولاته العقائدية ومخزون شخصيته، التي أبان عنها المونولوج المروي في كونها شخصية دينية في قناعاتها الإيديولوجية وفي صراعها مع الكائن الغريب الدار، القادم من الجزيرة الغربية العامرة والذي اعتمد في غزو المحروسة المحمية البيضاء على مبادئ دينية خالصة.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نذكر منها:

- تعدد الشخصيات في الثلاثية كعلامات إيحائية مقنعة، ووظائف سيميولوجية عكست حقيقة الصراع الديني والحضاري بين الشرق والغرب.

- دلالات الفضاء الروائي وامتزاجه بالزمان والمكان والشخصيات أضفى على الثلاثية نفسا سرديا، جعل القارئ يتتبع عتبات النص انطلاقا من العنوان.

- إحياءات اللغة السردية الموظفة في الثلاثية والتي عبرت عن الصراع بين عالمين متناقضين، وأبانت عن مكنونات الشخصيات الدفينة في اللاوعي.

- رمزية العلامات الإيحائية المقنعة داخل المتن السردية و المعبرة عن حقيقة الغزو المتلاحق على الجزائر منذ الغزو الإسباني إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، و خلاص الجزائريين من الاستعمار الهتمي البغيض.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005. ص:62.
- 2- السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، د. أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، الجزائر، بيروت، المغرب، ط1، 1426 هـ/ 2005م، ص: 09.
- 3- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تح: إبراهيم مذكور، إشراف: طه حسين، ج 12، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1960- 1965.
- 4- التعريفات، الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985، ص: 139.
- 5- نظرية العلامات عند جماعة فينا، رودوفكارناب نموذجا، دراسة وتحليل د. محمد عبد الرحمن جابري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، ط 1، 2010، ص: 144.
- 6- الاتجاهات السميوطيقية (التيارات والمدارس السميوطيقية في الثقافة الغربية)، د. جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ص: 08، شبكة الأنترنت: Almothaqof.com
- 7- مورفولوجية الخرافة، فلاديمير بورن، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين، المتحددين، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص: 76.

التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ثلاثية الجزائر لعبد الملك مرتاض، أنموذجاً — مجلة نصل (الخطاب)

- 8- الاتجاه السيميائي في نقد السرد الغربي الحديث، د. محمد فليح الجبوري، منشورات دار الاحتلاف، الرباط، ط1، 2013، ص: 76.
- 9- الملحق الثقافي، ألجيرداس كريماس ترسانة السيميائية، سعيد بن كراد، صحيفة الاتحاد، شبكة الانترنت: <http://www.alittihad.com>
- 10- الاتجاه السيميائي، م س، ص: 91.
- 11- فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: شكران سعيد، دار الكلام الرباط، 1990، ص: 08.
- 12- سميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجاً) د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، www.alukah.net
- 13- قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، 1997، ص: 78.
- 14- ثلاثية الجزائر، الملحمة، رواية في تجليات الوطن واللغة، عبد الملك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص: 20.
- 15- المصدر نفسه، الملحمة، ص: 20.
- 16- شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، بنكراد سعيد، منشورات جامعة المولى إسماعيل، س 1994، ص: 102.
- 17- الملحمة، ص: 63-64-66-67.
- 18- الاتجاه السيميائي في نقد السرد الغربي الحديث، د. محمد فليح الجبوري، ص: 96.
- 19- سعيد يقطين، قال الراوي، الندبات الحكائية في السيرة النصية، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، 1997، ص: 78.
- 20- ثلاثية الجزائر، الطوفان، رواية في عشق الوطن واللغة، عبد الملك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص: 224.
- 21- المصدر نفسه، ص: 224.
- 22- المصدر نفسه، ص: 225.
- 23- ينظر: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة، ص: 39.
- 24- ثلاثية الجزائر، الخلاص، رواية في عشق الوطن وتجليات اللغة، عبد الملك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص: 270.
- 25- سيميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ص: 51.
- 26- الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983) د. بشير بويجرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 102.
- 27- الخلاص، ص: 283.
- 28- المصدر نفسه، ص: 283.
- 29- المصدر نفسه، ص: 283.
- 30- شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، دراسة نقدية، حسن نجحي، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 2000م، ص: 32.

- 31- الملحمة، ص: 09.
- 32- المصدر نفسه، ص: 05.
- 33- الملحمة، ص: 06.
- 34- المصدر نفسه، ص: 31.
- 35- سيميائية اللون استراتيجيه في رواية "أهل بياض" لمبارك ربيع، وافية بن مسعود إنسانيات المجلة الجزائرية في الإنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية <https://journals.org/insaniyat>
- 36- ينظر، التحليل السيميائي للخطاب الروائي في رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد توأم عبد الله، الفصل الثالث، سيميائية اللغة السردية، السنة الجامعية، 2008-2009.
- 37- سيميائية العنوان "القوة والدلالة"، النمر في اليوم العاشر "لذكريا تامر نموذجاً"، إعداد الطالب خالد حسين حسين، إشراف أد. د. وائل بركات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد 3 + 4، 2005.
- 38- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدنى، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص: 45.
- 39- الملحمة، ص: 268.
- 40- الطوفان، ص: 306.
- 41- المصدر نفسه، ص: 366.
- 42- المجلة العلمية لكلية التربية ع 04، مستويات اللغة الروائية، أ. نجوى عمر السويبي. Mdr.misuratau.edu.y
- 43- المصدر السابق، ص: 307، 308.
- 44- الملحمة، ص: 65.
- 45- علم النص، جوليا كرسيفا، تر: فريد الزاهي، عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، ط2، 1997.
- 46- فاضل بشناق، الحوار مفهومه وأهدافه وركائزه بشبكة الانترنت: <http://K128.com/books/phivts?bid=174&PN°:02>
- 47- الخلاص، ص: 100.
- 48- تيار الوعي، دراسة تطبيقية في قصة يوسف إدريس، إبراهيم طه، شبكة الانترنت Lib1.qsm.ac.il/alkarinol%209/ebrahim%tahia.pdf
- 49- الطوفان، ص: 224.
- 50- المصدر نفسه، ص: 225.
- 51- المصدر نفسه، ص: 226.